صنعاء اليمن واليمن

اليمن الذي تنسب اليه صنعاء ولا ينسب اليها كله ينقسم الى سهول جرداء قاحلة على ساحل البحر الاحمر خصبة مريعة فيما بعد ذلك ، وجبال بركانية تتسلسل على مسافة سبعين كيلو متر من البحر ، ثم النجد الفسيح الذي به مدائن حمير وقراها يعلو على سطح الماء بالفي متر وبعده ما يسميه الجغرافيون بالربع الخالي من الجزيرة العامر بآثار السبئيين .

تمتاز هاته البلاد على غيرها من بلادات العرب بخصوبة أرضها وكثرة وديانها الذي منها وادي مور ميزاب تهامة الاعظم وميزاب اليمن الشرقي الذي يذكر التاريخ أنه أفضى الى سد مأرب وهو الذي كان يسقي الجنتين الى أرض السبئيين وبتحكم اهلها في المياه ومهارتهم في عملية توجيهها واستعمالهم للسدود المحكمة تحجزها في أرض صلبة من شأنها أن تحفظ الماء الى حين الاحتياج للانتفاع به مما جعلها في طليعة البلاد التي تنتج المزروعات الدورية وتنبت الاشجار الباسقة وحدا الى اطلاق اسم (العرب الخضراء) عليها .

الاسم في محله وليس اليمن من حيث منظره على صفحات الايام الغابرات بأقل نضارة وأضعف بهجة فقد دخل في حوزة التاريخ بدخوله تحت حكم ملكة سبا التي كانت مسيطرة على سائر السواحل الفيحاء وكافة هضاب تلك الارض ووهادها هناك ، وبيدها جل تجارة الشرق تبعث في البحار الى الاقطار الشاسعة المراكب الحافلة بالبضائع والعطور والحجارة الكريمة وبالاخص الي سوريا وغيرها من البلاد المتمدنة ، سيدة الرمال بلقيس التي لا زالت التواريخ تردد اسمها مقروناً الى اسم ملك عظيم ونبي كريم وتعدد لها من المآثر والمفاخر ما كاد أن يجعلها في سماء الخيال .

ثم انكسر سد مأرب عاصمة بلقيس فانجلت القبائل عن تلك النواحي ذلك الانجلاء الفجاءي القوي الذي قلب ماهية جزيرة العرب ونقل الامر فيها الى سكان النجد من قبائل حمير وكهلان ، وقد كانت حمير وكهلان في قحطان بمنزلة ربيعة ومضر في عدنان . شعبان يتنافسان في الملك ويتنازعان السيادة فقسموا البلاد بينهم الى مخاليف ذكر ياقوت منها ستين مخلافاً أو تزيد كلها متوازية متقاربة غير أن مخلاف صنعاء كان أفخم هذه المخاليف وأعظمها وكان رؤساؤه خاصة يلقبون بالملوك وحدهم دون غيرهم من الرؤساء وذكر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ في كتابه تاريخ الرسل والملوك أن ملوك اليمن بصنعاء كان ملكهم غير متصل وانما يكون للواحد منهم بعد الواحد وبينهم الفترات الطويلة التي لم يقف على مقاديرها المؤرخون وهنا ايضاً يسطر الزمان لهاته البلاد من المجد ما أبهر بعض المؤرخين مثل المسعودي وغيره حتى أداهم ذلك الى الدخول بالتبابعة وعظمة سلطانهم في عالم الخرافات .

يذكر التاريخ أيضاً لليمن وقد كان على دين المسيح عليه السلام اختلاطه بالامم المجاورة له مثل الاحباش الذين ملكوه مدة والفرس الذين تأثر بمدنيتهم تأثراً محسوساً ولكن نرى لليمنيين حتى في هاته الناحية من حياتهم أياماً كأيام ابن ذى يزن لا تقل عن أيام غيرهم من العرب سكان الصحارى والقفار .

وهكذا تظهر البلاد اليمنية في صفة خاصة ذهبت ببعض السواحين الى تقسيم بلاد العرب الى شعبين : اليمانيون شعب ، وغيرهم من العرب شعب آخر ، الا أن هذا التقسيم عند امعان النظر لا ينطبق على الواقع ، فليس اليمن في الحقيقة الا قطعة من أرض واحدة وليس تاريخه الا

جزءاً من تاريخ واحد وما وفدت العرب على سيف ابن ذى يزن بعد قتله الحبشة الا لفرد منهم خدم الجزيرة جملة والعرب اجمعين اذ يقول له عبد المطلب بن هاشم « : أنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من انت خلفه ، نحن ايها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي انهجك لكف الكرب الذي اصابنا » وانما الطائفتان فرعان فقط من شعب وغصنان من شجرة وهو نفس التقسيم الذي نجده في اللغة التي هي عنوان الوحدة ودليل الجمع ، فإن فرق اللغويون العربية الى فرع حميري قحطاني وهو الاصل وفرع عدناني أو حجازي وهو لسان بني اسمعيل فليس ثمة من خلاف جوهري في روح اللغة وانما هو فرق ثانوي سطحي يخص جانب الفاظ قليلة مستعملة عند حمير دون الحجاز وبالعكس ، ومن جانب اللهجة على أن اختلاف اللهجات انما يعبر بها عن مجرد تباينهم في مسائل الابدال وأوجه الاعراب وفي مسائل الادغام والنقص والاتمام ونحو ذلك مما هو مسطر في موضعه ، ولئن حفظت عن اليمن شنشنتهم ووتمهم المعروفان فقد حفظت عن شتى قبائل العرب عدّة اختصاصات كعجعجة قضاعة وغنغمتها وثلثلة بهراء وفحفحة هذيل وعنعنة تميم وكشكشة أسد ووكم ربيعة وغير ذلك ، على ان الاسلام رفع التفرقة وجمع القلوب ووحد الاعمال وكتب اليمانيون بفضله في خدمة الخلفاء المقدسين على صفحات التاريخ سطوراً نيرات ومآثر خالدات تزري بما سبق لهم من رفعة وسلف من مجد فلا غرو اذن أن يسعى المفكرون اليوم في ارجاع الجزيرة الى وحدتها وتجديد عهد ارتفعت به تلك البقاع وعلت به الدنيا ومـا ذلك على الله بعزيز .

منازل من صنعاء اليمن

عاصمة بلاد مثل اليمن لا تكون بالطبع الا من أهم العواصم وهو الواقع نفسه في شأن صنعاء التي تمثل في طبيعتها وصنائعها وهندسة بناآتها القطر الذي تنسب اليه على الصفة التي ذكرنا كما تمثله في اخلاق اهلها ، ويسمون بالصنعانيين بزيادة النون خلافاً للقياس كما يقال في بهراء بهراني وعلى هذه النسبة السماعية درج الحريري في مقاماته الصنعانية ، وهم من أكثر الناس سعياً في اصلاح حال الجزيرة والعمل لترقيتها وفاء بواجبات التاريخ وعزة الاجداد .

قيل سميت بصنعاء لأنهـا أول مدينة صنعت بعد الطوفان وقيل سبب ذلك ـ وقد كان اسمها القديم اوزال ـ أن الحبشة لما أرادوا فتحها وناوءوها الحرب وجدوها حصينة فقالوا صعناء أي محكمة الصنع ، قال ياقوت : وقد بنى بصنعاء ابرهة بن سبا لملك الحبشة كنيسة سماها جليز (Eglise ?) موّه جدرانها بالذهب وحيطانها بالفضة ورصعها